بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله العزيز الغفار ، مقلب الليل والنهار ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، حمدًا عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته .

وصلاة وسلامًا على النبى المعظم والرسول المكرم ﷺ ، الذى أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور ، واشترط لصحة الإيمان تحكيمه دون حرج ، مع التسليم التام لما أمر ، صلوات الله وسلامه عليه .

وبعد:

لا يخفى علينا مقدار عظمة هذا الدين الحنيف السهل السمح ، القائم على كتاب الله تعالى المنقول بالتواتر دون سائر ما أنزل من السماء ، فهى بين تحريف أصحابها ، وانقطاع إسنادها ، ثم على السنة المشرفة التى نقلها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، رجال دان لهم العجم والعرب ، والأسود والأبيض ، منذ عصر صحابة رسولنا ﷺ ، حتى علماء الأمة الأجلاء ، الذين جمعوا وهذبوا وصححوا وبينوا كل صغيرة وكبيرة متعلقة بهذه السنة المطهرة ، دراية ورواية ،حتى نقطع أنه لم يقم أتباع نبى من أنبياء الله ـ صلى الله عليهم وسلم ـ بما قام به أتباع سيدنا رسول الله ﷺ ، ولو تأملت حياة بعضهم ـ ولو واحدًا من كل عصر مثل عمر أو ابنه رضي الله عنهما ودقتهما وتشددهما فى التحرى فى نقل الحديث ، ثم التابعين كنافع ، ثم تابعى التابعين كمالك ، ثم من بعدهم كالشافعى ، ثم الإمام الكبير أحمد بن حنبل رضى الله عنهم أجمعين ـ لرأيت فى حياتهم من التطبيق العملى لدين الله عجبا .

فندر أن ترى أحدهم إلا قوامًا صوامًا ، صادقًا مخبتًا ، ورعًا زاهدًا ، عفيفًا شريفًا ، تقيًا نقيًا . . .

فهذا اختيار الله تعالى لهؤلاء الكرام لحفظ دينه العظيم ، فهمًا وفقهًا ، واستنباطًا وتقعيدًا . . . ثم تستمر السلسلة المباركة فى كل زمان ومكان ، فالخير فى هذه الأمة إلى يوم القيامة .

وينشر الله تعالى الخير بين أفرادها ليجتمع فى نهاية الأمر لمصلحة دين الله تعالى .

فانظر إلى عقل الإمام أبى حنيفة رضي الله عنه ، ثم إلى ضبط مالك رضي الله عنه ، ثم إلى فهم الشافعى رضي الله عنه ، ثم إلى النهر المداد ، والبحر الزخار الإمام أحمد رضي الله عنه ، نقدًا وفهمًا وحفظًا.

ثم جاء من بعد هؤلاء أئمة كبار وحفاظ مهرة كسيِّد المحدثين البخارى صاحب سيد كتب السنة المطهرة « الصحيح الجامع » ، وتلميذه الكبير الإمام مسلم قرينه فى الصحة ، ثم إلى آخر أصحاب الكتب المشهورة فى السنن والمسانيد .

ولو انتقلنا قليلا لرأينا عقول الفقهاء والكبار من كل مذهب قد نقحت وحققت ، وهذا باب يطول ، فعليك بكتب الطبقات لترى فى وصفهم عجبًا ، يجعل المسلم فى ثقة من صحة ما نقل عنهم سندًا ومتنًا ، بما لا يدع ثقبًا للشك ينفذ منه شيطان الجان ، ولا سَمَّ خياط يسلكه شيطان الإنس .

فلا يحزن المسلم فى هذا الزمان أن يرى مَن لا يصلح عقله أن يكون خفًا لأحد هؤلاء الكبار ويقدح فيهم أو ينقص من أقدارهم ،فنحن فى زمن الفتنة والعبث واللهو ، يخرج علينا أحدهم تارة باتهام الأئمة بالجمود ، وآخر يتهمهم بالتطرف ، وثالث ينفى الشفاعة ، ورابع ينفى خلق الله تعالى لآدم أول بشر ، وخامس يحلل الحرام ، ربًا كان أو سحتًا . . .إلخ .

ولو تتبعت كيف تربى هؤلاء وأين تعلموا وعلى يدى مَن ، ما حزنت ولا تعجبت ، فليس منهم من كتب على الشموع كالشافعى رضي الله عنه ثم يخرج لنا الأم ، أو يأكل يابسًا ويخرج لنا المسند كالإمام أحمد ، أو يسير من الأندلس (إسبانيا) إلى العراق يسمع من الإمام أحمد ـ يسير ماشيًا ـ كبقى بن مخلد ، وكما قلنا: راجع تراجم هؤلاء لتعرف آباءك .

فأولئك فى هذه البيئة البسيطة قصدوا الله تعالى مخلصين له الدين ، وهؤلاء ـ المعاصرين ـ قصدوا الشهرة ، فكان لكل فريق ما نوى ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى] نسأل الله السلامة .

ولهذا أشعر ـ والله أعلم ـ أن الفريضة الغائبة ـ حقًا ـ فريضة نشر علوم الإسلام الشرعية بالوسائل والأساليب التى تجعل الناس يقبلون على دينهم بيسر وسهولة ، فالعلم قطرة ـ كما قالوا ـ كَثَّرها الجاهلون . . .

فلا أدرى ماذا يصنع أدعياء العلم بهذه الأمة ؟ ! ينهجون خلاف ما نهج السلف علما

وعملا ثم يدّعون السلفية . . . يُعَقِّدون فى مؤلفاتهم وتحقيقاتهم حتى يخيل إليك أنك تقرأ لأناس من عصور أخرى ، حتى الأسماء لا تدرى أهى من الأحياء أم من الأموات ؟ حتى يتجرأ كثير منهم على أن يُخطِّئ الأئمة الكبار ، ويدعى النزاهة والحياد . . . ويُوَهِّم السادة الكبار من أول الأئمة الأربعة حتى ابن حجر ، بدعوى: كم ترك الأول للآخر ، ونسى هؤلاء المساكين مَن الأول ؟ ومَن الآخر ؟ والفرق بين الثرى والثريا !!(١) .

* * *

ليس معنى هذا أننا نتساهل أو نفرط فى بيان الصحة والضعف والراجح من المرجوح ، ولكن مَن يقوم بذلك ؟ هذه هى القضية ، فليس كل مَن جالس عالمًا شهرًا أو سنةً أصبح عالمًا ، أو تَعمَّمَ سار فقيهًا ، أو أطلق لحيته أمسى إمامًا !!

نريد حقا أن يعود طلاب العلم إلى منهج السلف فى تلقى العلوم على يد المشايخ لا مجرد القراءة والجلوس إلى بعض مدعى العلم ، ثم ينقلب الحال فيصبح الشاب من أولئك بين عشية وضحاها شيخا !! وقرأت لبعضهم فى مقدمة رسالة حققها ـ والتحقيق الآن مهنة مَن لا مهنة له ـ ما حنث لو أقسم بين الركن والمقام ما رأى مثل فلان ! والقائل لم يبلغ الخامسة والعشرين ، ومَن رآه لم يتجاوز الخامسة والثلاثين !! ومسكين هكذا الغلام ، فهو لم ير فى قريته إلا ذاك ، فظن العصفور صقرا ، والخراف أسدا !! فهل بمثل هذا يقوم الدين؟! وبمثل هؤلاء ينتصر الإسلام ؟ !

قلت لبعضهم ـ ممن فتنوا ببعض الشباب المتحدثين فى العلم دون دراسة ، وليس لهم زاد إلا الصوت المرتفع والمظهر الذى يدل على العظمة العلمية ـ قلت: على مَن أخذت العلم ؟ قال: بنفسى فى مكتبة الشيخ فلان !! فسكتُ !! لأنك فى زمن لأن تقدح فى إمام من الأئمة أهون من الحديث عن زعماء العلم المزعومين !! (٢).

قلت له: عندى مشاكل فى موضوع العلة فى القياس ، وأنا قرأت هذا العلم على

---

(١) وراجع ما قد كتبناه فى مقدمة بدائع التفسير (١ / ٢١) ط / الأولى .

(٢) وكان سبب هذا النقاش أن جاء هذا الشاب المفتون لعلاج ابن أحد الأصدقاء من المس !! وسمعنى أتحدث بعد صلاة العشاء عن مسألة أخذ الحق بالخديعة ومعنى الحديث الصحيح : « أد الأمانة لمن ائتمنك ، ولا تخن من خانك » ، فإذا به يقول لى بعد الخروج من المسجد : ولكن أجمع العلماء على جواز ذلك ، وذلك أن هذا هو الصواب المذكور فى كتب العلم منذ الأم للشافعى وحتى الروضة للشوكانى !! هكذا والله العظيم . فلما سألته عن مشايخه وعلى مَن تربى ، عرفت من أين جاءت العلة .

وراجع لزاما كتاب العلامة بكر أبو زيد: التعالم .

يدى جهابذته فى هذا الزمان أكثر من عشر سنوات متصلة ، فهل يستطيع صاحبك هذا حلها!! ومشاكل فى قضايا فى التفسير وعلوم القراءات وبعض قضايا النحو والصرف واللغة التى يقوم على فهمها فهم الشريعة ، وهى العلوم التى ـ والحمد لله ـ أتعلمها منذ ما يقرب من عشرين سنة على كبار علمائها ، فهل يستطيع شيخك حلها ؟ ! فهز رأسه قائلا: شيخى محدث !!

وقبل أن أجد ردّا من خبيث حاقد أو حاسد متنطع متعال فى مقدمة كتاب فخم ضخم يريد منى أن أطلعه على هذه القضايا أقول: صبرًا جميلاً ما أقرب الفرجا ، ستجدون كل هذا وما شابهه من فضائح الكُتَّاب والمحققين بالأسماء فى كتابى:

« كتب الدين بين التحقيق والتحريف » يصدر قريبا إن شاء الله تعالى .

نحن أيها الإخوة الكرام نتحدث عن دين أنزله رب العالمين ، لا عن فكر شرقى أو غربى من صنع البشر ، فلنتق الله تعالى فى تقدير هذا الدين ، ﴿ **وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** (٣٢) ﴾ [الحج] . والله أعلم .

تمهيد

(١)

إن ما أقوم به ـ أيها القارئ العزيز ـ من جهد مُقِلٍّ لترتيب كُتُبِ الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى ، لا أبتغى به إلا وجه الله تعالى ، ثم التيسير على طلاب العلم .

والحمد لله ، فمنذ أن فهرست جميع كتبه فى أربعة كشاكيل كبار ـ منذ ما يزيد على خمسة عشر عامًا ـ ينتفع بها كثير من إخواننا طلاب العلم فى مصر وغيرها ،وساعدت باحثين كثيرين يعدون للرسائل الجامعية فى الاهتداء إلى المواضيع المرادة من كتب الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ بأيسر طريق ؛ لأنها مرتبة على « ألف باء » كما سبق بيانه فى مقدمة كتابى « بدائع التفسير » .

ومنذ أن خرج « بدائع التفسير » والحمد لله وجد قبولا عند أهل العلم ، وأسأل الله تعالى أن يتقبله منى بقبول حسن .

ولست فى حصر من تكلم عن الكتاب،والحمد لله جلهم بالشكر للمجهود ـ وإن قل ـ المبذول فى جمعه حتى لا يفهم أن هذا مدح . وأطرف نقد سمعته: لماذا كتبت عن ظروف إخراج الكتاب والمتعلقة بأسرتى ، وكأن الناس يريدون منا أن ننعزل عن إخواننا فلا يشعرون بنا ولا يشاركوننا حتى الدعاء بالشفاء لأهلنا وأولادنا ، سبحان الله !!

ويكفينى فى هذا المقام ثناء الشيخ العالم الكبير المحقق حقا ، والباحث صدقًا ، والمجتهد فعلا ، الأستاذ الإمام محمود محمد شاكر رحمه الله تعالى وقدس روحه وأنزله فسيح جناته، وكان ذلك بمحضر من أخى المكرم الباحث المجد الدكتور / محمود الرضوانى المدرس بكلية دار العلوم .

وقد خصصت أستاذنا الكبير بالذكر هنا لا لشىء ، إلا لما علم عنه من تشدد فى الحق وترك المجاملة والمديح إلا بالحق ، مع كل تقديرى للأساتذة الكبار الذين أولونى وما زالوا اهتمامًا ونصحًا ورعاية ، جزاهم الله خير الجزاء . وسوف أفصل كل ذلك ـ إن شاء الله ـ فى مقدمة « علوم القرآن » والتى ستسبق الطبعة الجديدة المزيدة من « بدائع التفسير » والتى هى تحت الطبع الآن مع باقى أبواب « موسوعة ابن القيم »[1] والحمد لله رب العالمين .

---

(١)انتهينا ـ بفضل الله ـ من جمع وترتيب وتحقيق كتب ابن القيم ورسائله ، مصنفة على أبواب العلم فى التفسير والحديث والفقه وغيرها من العلوم ـ على غرار «مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية »ـ وهذا الجامع منها، وتشرف دار الوفاء بنشرها والعناية بها ، وستخرج قريبا ، إن شاء الله ، هذه الموسوعة مكتملة بين يدى العلماء والباحثين .

وهذه « المقدمة فى علوم القرآن » ستكون فتحًا مبينًا لدارسى التفسير وعلومه إن شاء الله تعالى ؛ لما احتوت على درر نفيسة بديعة فى هذا الباب من علوم الشريعة ، وقد رتبتها على أبواب الإتقان للسيوطى غالبًا ، وإن كنت أقرب نهجًا لكتاب « الإكسير » للطوفى رحمه الله تعالى .

(٢)

وإذا كان الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ لم يؤلف كتابًا مستقلا فى التفسير ، فهل هو كذلك فى الفقه ؟

أقول ـ مستعينا بالله تعالى: نعم .

لأننا نقصد أنه لم يؤلف فى الفقه كعادة من ألف فيه على النهج المشهور المعروف فى ترتيب أبواب الفقه كـ « المغنى » أو « فتح القدير »[١] إلى آخر هذه الكتب المرتبة على هذه الطريقة .

وقد يقول قائل: فأين موقع زاد المعاد ؟

أقول: يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ واصفا زاد المعاد: « وهذه كلمات يسيرة لا يستغنى عن معرفتها من له أدنى همة إلى معرفة نبيه ﷺ ، وسيرته وهديه » .

فهو بين أنه كتاب فى معرفة النبى ﷺ . . .

وقد يحسن بنا أن نسمى ذلك: معرفة التطبيق العملى للنبى ﷺ للشريعة المطهرة . فهذا الكتاب موسوعة شاملة لعلوم متعددة :

١ـ السيرة وبيان بدء الوحى وذكر مبعثه ﷺ وطفولته وشبابه إلى كل ما يتعلق بهذا الباب . (١ / ١٣٩)[٢] .

٢ـ الفقه: وبين فيه هديه الشريف ﷺ فى العبادات والقيام بأمر رب العباد على أحسن وجه وأكمله ، حيث لا يرضى اللهُ تعالى من العباد عبادة على غير ما جاء فى هديه ﷺ :

فهو يبدأ فى بيان هديه مثلا: فى الوضوء (١ / ١٩١) إلى أن يصل بنا إلى صلاة

---

(١) « المغنى » كتاب عظيم الشأن للإمام ابن قدامة الحنبلى ، أما « فتح القدير » فهو للإمام ابن الهمام الحنفى ـ رحمهما الله تعالى .

(٢) اعتمدنا على طبعة دار الرسالة ، وهى من أنفس ما طبع من زاد المعاد للآن.

الخوف (١ / ٥٢٩) .

ومما يبين أن الكتاب لم يؤلف على طريقة الفقهاء المعروفة : أنه بعد أن بدأ فى بيان بدء حياته ﷺ بين قومه إلى أن مَنَّ الله تعالى عليه بالرسالة ، يشرع فى بيان هديه فى الأكل ثم النكاح وسيرته مع أهله ، ثم بعض صفاته الخُلقية والخَلْقية (١ / ١٣٧ـ ١٨٦) .

ثم ينتقل إلى ذكر العبادات ـ كما أشرنا ـ بداية بالوضوء . . .إلخ .

وبعد الانتهاء من الصلاة ، يشرع فى الجزء الثانى من المطبوع فى بيان هديه فى الصدقة والزكاة (٢ / ٥) إلى أن وصل للحج انتهاءً بالأضحية (٢ / ٣٢٠) .

ثم ينتقل إلى هديه فى العقيقة ثم الأسماء واختيارها وفقه ذلك (٢ / ٣٣٤ ـ ٣٦٨) .

ثم يشرع فى بيان الذكر وهديه فى ذلك (٢ / ٣٥٢ ـ ٤٦٨) .

ثم ينتقل إلى هديه فى الجهاد والغزو والغنائم ومعاملة المشركين والفقه المستفاد من الغزوات وقدوم الوفود إليه ﷺ ورسله وكتبه إلى الملوك ، وهذا يستغرق الجزء الثالث فى حدود (٧٠٠) صفحة تقريبا .

ثم نراه فى الجزء الرابع يشرع فى بيان هديه فى الطب النبوى ومعجم ما ورد عنه ﷺ من أدوية وأغذية .

ثم يختم الكتاب بالجزء الخامس وفيه: هديه ﷺ فى القضاء والأحكام والديات والحدود (٥ / ١ ـ ٩٣) .

ثم بيان قضائه وحكمه فى النكاح وتوابعه (٥ / ٩٥ ـ ١٩٠) .

ثم حكم الخلع (٥ / ١٩٠) .

ثم الطلاق (٥ / ٢٠١ ـ ٣١٧) .

ثم يختم الجزء بحكمه فى البيوع إلى نهاية الكتاب .

ولكن بالتتبع يظهر أن الكتاب من عجائب ما ألف ابن القيم ، فهو لا يترك شيئًا من هديه ﷺ إلا استخرج منه حكمًا حتى يعد بحق موسوعة خاصة فى:

التوحيد ، والسيرة ، والفقه ، والتفسير . . .

ولك أن تقيس سائر كتبه التى هى أقرب إلى الفقه المحض على ذلك ؛ مثل:

١ـ « أحكام أهل الذمة » فهو فى باب من أبواب الفقه .

٢ـ « تحفة المودود فى أحكام المولود » كذلك .

٣ـ « الصلاة » وهو أدقها فى الشبه إلى الفقه المحض .

٤ـ « الطرق الحكمية » وهو مشتمل على فقه وحكم تشريع كذلك .

٥ـ « الفروسية » وهى علاج لقضية واحدة من قضايا الفقه .

(٣)

إضاءة

وقبل الشروع فى تفصيل المراد من صناعة هذا الكتاب أنبه إلى أننى لم أشأ تكرار ترجمة ابن القيم[١] ولكن نشير إشارة:

فهو الإمام العلامة المحقق شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب بن قيم الجوزية الحنبلى (٦٩١هـ / ١٢٩٢م) (ت ١٣رجب ٧٥١هـ / ١٧سبتمبر ١٣٥٠م) [٢].

ونستطيع أن نجزم أنه تربى تربية حسنة هادئة وإن مال فى بدء أمره إلى بعض مناحى التصوف ، ثم أقامه اللهُ تعالى على الحق منه ومن سائر علوم الشريعة حين اتصل بشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى .

وقد ألف وصنف ـ رحمه الله تعالى ـ تصانيف اتفق عليها أهل العلم ، عدا ما شذ ونفر كما سيأتى بيانه .

وله ذوق حسن فى فهم الشريعة ومقامات السلوك ، مما جعل بعض محققى كتبه فى زماننا هذا لا يفهم مراده ، ولقد رددت ذلك فى مقدمة « بدائع التفسير » .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ عابدًا منيبًا ، يطيل الصلاة فى خشوع ، قليل الكلام فى غير ذكر الله أو العلم ، لا يغتاب أحدًا ، ولا يذكر المخالف إلا بالأدب .

أصابته محنة شهيرة هو وشيخه بسبب مسألتى الطلاق والزيارة ، وهو اجتهد ـ رحمه

---

(١) انظرها مفصلة فى مقدمة كتابنا « بدائع التفسير لابن القيم » .

(٢) استفدت ذلك من ترجمة بروكلمان من الجزء غير المطبوع ، وقد تفضل بترجمتها من الألمانية فضيلة العلامة أستاذى الدكتور / رمضان عبد التواب الذى هو كالنهر لوارديه ، بارك الله فى عمره وصحته آمين ، وكنت وما أزال أنتفع به ـ حفظه الله تعالى ـ فى علوم اللغة ودقائق التفسير ، وهذا دأبى معه ، وهو أستاذى بالجامعة وقبلها وبعدها . وخلط بروكلمان فى عزو ما ليس من كتبه له ، وأيضا فى تعريف بعضها « كالمنار » مثلا وأنه فى العقيدة.

الله تعالى ـ اجتهادًا موفقًا فى غالب ما ذهب إليه .

وقد ترجم له كثير من أهل العلم كالذهبى وابن كثير وابن رجب وابن حجر والشوكانى وغيرهم ، فذكروه بالعلم والعبادة والخير .

وقد تحامل عليه وعلى شيخه ابن تيمية السبكى ـ رحمه الله تعالى ـ فى طبقات الشافعية وإن كان هذا من كلام الأقران ، لكن نأخذ عليه سوء العبارة فى كثير من الأحيان؛ لتعصبه المذهبى والعقدى .

فرحمهم الله جميعا ، فكل يؤخذ منه ويرد إلا صاحب النبوة ﷺ .

(٤)

بيان مذهبه ومنهجه فى البحث

وعلى هذا نستطيع القول: إن كتب الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ كتب «موسوعية » قد تتخصص فى فرع من الفروع ، ولكن لا تخلو من علم من العلوم الشرعية كما ضربنا أمثلة سابقة .

فابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ إذا تحدث فى قضية من القضايا ترى من عادته فى التأليف وخصائصه فى التصنيف:

١ ـ أن يسوق الآيات الدالة على القضية ، ويأخذ فى تفسيرها من الناحية اللغوية ، مع ذكر الراجح فى معناها وذكر الآثار الواردة فيها (١).

٢ ـ الاعتماد على الحديث الشريف مع حسن التحقيق والتخريج والتعليق ، وانظر إلى دقته فى الكلام عن سنن أبى داود مثلا (٢).

وهو يكثر من ذكر الأحاديث ويعتمد عليها فى استنباط الأحكام مما يثير العجب .

فهو فى زاد المعاد وحده يعتمد على أكثر من (٣٥٠٠) حديث تقريبا ، وقريب من

---

(١) وقد بينت مكانته فى هذا الباب ويده الطولى فى إظهار أسرار الكتاب الحكيم وبيان ما احتواه من أنوار ، فى مقدمة « بدائع التفسير » مع ذكر أقوال أهل العلم فى منزلته فى هذا الباب .

(٢) وقد أفردته والحمد لله ، ويطبع الآن بتحقيق يبين مدى اتساع ابن القيم فى هذا الباب . كما قال الذهبى ـ رحمه الله تعالى .

(٢٥٠٠) حديث فى إعلام الموقعين [١].

وقد وفق الله تعالى فى جمع ما تحدث عنه ابن القيم من أحاديث شارحًا وموضحًا أحكامًا فى جزء مستقل من الموسوعة .

٣ ـ النظر فى آثار الصحابة ﷺ ، وبيان الراجح من أقوالهم ، ولا يحيد عنها ، مستمسكًا بأقوالهم دون غيرهم .

٤ ـ الإحاطة بأقوال العلماء فى المسألة ، مع القوة فى تتبع أدلتهم ومناقشتها تفصيلا ، مع عجائب من طول نفسه ، وسعة صدره ، مع حدة فى الحق .

وإن أخذ عليه بعض العلماء مسائل ـ وكانوا على حق ـ لا يمنع أنه بشر عالم كسائر العلماء يؤخذ منه ويرد ـ فرحمهم الله تعالى .

٥ ـ كمال أدواته اللغوية وبراعته فى النحو والصرف والبلاغة[٢] ، مما مكنه من الاستحواذ على أساس الاجتهاد ، فلا يستغرب أن يعد من المجتهدين المحايدين ، والعلماء ذوى النباهة والصدق [٣].

(٥)

والمتتبع لمصنفات الكبار من العلماء لا يكاد يرى أحدهم يخالف المنهج السابق فى البحث ، أمثال الإمام النووى وابن حجر ـ رحمهما الله تعالى ـ وهو المنهج الصدق والمدخل الحق لفهم دين الله تعالى والعمل به وتبليغه على الوجه الصحيح .

وهذا يظهر واضحًا عند الإمام ابن القيم فى محاربته للتقليد الذى لا يقوم على أى أساس مما سبق ، إنما هو عن الهوى يصدر ، وبالأهواء يتصدر .

فابن القيم كما اتفق المترجمون له « حنبلى المذهب »، ولكن أى طريق سلك فى حياته العلمية ؟

---

(١) نفرغ تقريبا من تحقيقه الآن والحمد لله تعالى ، كما تم تحقيق « بدائع الفوائد » و « مدارج السالكين » و « أمثال القرآن » و « الفوائد » والله المستعان .

(٢) وقد وفقنى الله تعالى لجمع علومه اللغوية مرتبة على أبواب النحو والصرف والبلاغة ، واللغة مرتبة على الحروف الهجائية ، وهو ضمن الموسوعة العامة .

(٣) لست هنا فى معرض بيان أسلوبه فى التأليف ومزاياه ، إنما أختصر اختصارًا لظروف الطبع ، ولا يستغنى باحث فى علم هذا الإمام عن النظر فيما كتبه زينة علماء الحجاز العلامة بكر عبد الله أبو زيد ـ حفظه الله تعالى ، وانظر: مقدمة « بدائع التفسير » لتزداد عن ذلك تنويرا .

تراه أبعد الخلق عن التعصب الأعمى الذى مس كثيرا من أتباع المذاهب ، خاصة المتأخرين ابتداء من القرن الرابع حتى السادس الهجرى . . .دون استثناء لمذهب دون الآخر، مما كان له أعظم الأثر فى تجميد العقل المسلم فى ثلاجة المتون وحواشيها ، فأصاب الحركة الفكرية العلمية الجادة القائمة على الدليل بالشلل التام ، وأطاح بقوة الأمة ومزق كيانها .

ولو تتبع منصف ما حدث بين أتباع المذاهب ، لاستحى وتوارى خجلا أن يرى هذا الخزى على تلك الصورة التى لم تحدث حتى بين المسلمين والنصارى أو اليهود ـ حاشا الحروب الصليبية التى تُجدد الآن (١) .

ولكن الأمر عند ابن القيم يختلف فهو يدرس المذهب لمعرفة الفقه بطريقة يسيرة تعينه على المداومة والاطلاع ، فضلا عن تقيده بكلام صاحب المذهب الإمام أحمد ـ رضى الله عنه وعن سائر الأئمة ـ فى تشدده وزجره لترك الدليل الصحيح والتعصب لرأى كائنًا ما كان.

وهذا معروف مشهور ، تستطيع النظر فيه من خلال تراجم الإمام أحمد رضي الله عنه لابن الجوزى ، أو فى طبقات الحنابلة والمدخل لابن بدران .

ولهذا: يقول ابن القيم ـ فى بيان كيف يتعامل مع الفقه وهو الحنبلى المذهب:

« وكثيرا ما ترد المسألة نعتقد فيها خلاف المذهب ، فلا يسعنا أن نفتى بخلاف ما نعتقده، فنحكى المذهب الراجح ونرجحه ، ونقول: هذا هو الصواب ، وهو أولى أن نأخذ به وبالله التوفيق »(٢) .

وهنا: نلحظ تأثر ابن القيم ـ فيما تأثر ـ بمنهج أستاذه الكبير والعلم النحرير شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ فى بيان أن الاجتهاد لا ينافى التمذهب الذى هو وسيلة للمعرفة .

وهناك فرق بين نظر المجتهد والمقلد .

ولسنا فى حاجة لذكر ما أورده ابن القيم فى ذم التقليد ، فعليك بـ « إعلام الموقعين » فهو يغنيك .

---

(١) راجع كتاب :« تاريخ المذاهب الإسلامية » للعلامة الدكتور / عمر سليمان الأشقر ـ حفظه الله تعالى ؛ لترى نبذًا من هذا العار ، فتحمد الله تعالى على أن وفقك للوقوف على كتب إمامنا ابن القيم ـ رحمه الله تعالى .

(٢) إعلام الموقعين (٤ / ١٧٧) .

ومن دقق النظر فى مناقشات ابن القيم تبين له ذلك .

(٦)

إشارة

وهنا لابد أن نشير إلى أن سعة اطلاع ابن القيم على السنة الشريفة ومعرفته بكثير من رجالها ـ كما قال الذهبى ـ ساعده ذلك فى الاعتماد على الصحيح غالبًا من الحديث والأثر، فلم يقع فيما وقع فيه كثير من الفقهاء . فمن لم يفطن إلى قول النبى ﷺ الصحيح الثابت عنه من الضعيف والموضوع ، بله من لم يدقق حتى فى شبه حكم وأمثال للسنة المطهرة وبقاء أحكامه عليها ما دامت وافقت مذهب إمامه ـ فلا تستغرب أن يكون مذهب بعض هؤلاء نسخ وتقييد الكتاب والسنة بأقوال إمامه .

وراجع ما كتبه الحافظ البيهقى فى تعجبه ونقده لكتاب المحيط لأبى محمد الجوينى والد إمام الحرمين ، كيف يقع فى مثل هذا [١].

وهذا لا يمنع من استدلال ابن القيم بأحاديث ضعيفة فى مواضع ، ولكن الأصل ما سبق بيانه .

والناظر فى « تهذيب السنن » يرى مدى سعة علمه بهذا العلم الشريف ودقة نظره ، وأنه لا يجيز أبدا العمل بخلاف ما صح ، ولو خالف المذهب .

ولا يفهم أحد أننا نحارب التمذهب ، ولكن نحارب التعصب ، فإن دراسة مذهب من المذاهب وسيلة لا غاية ، تسهل معرفة الفقه إجمالا ، ثم يسلك الدارس بعد ذلك النظر فى الأصول حتى يقف على الراجح فى مذهبه ومذهب غيره .

وهذا باب عظيم لا وقت لفتحه الآن ، ولكننا نشدد على من يحارب المذاهب داعيًا إلى الدليل ، فيوهم أن هذا الحق ، دون أن يبين لهم كيف يصل المتعلم لمعرفة الدليل، لا لمجرد قراءته كتابًا واثنين صار من المجتهدين ، وهو لا يحسن قراءة القرآن فضلا عن حفظه، ولا يستطيع الوقوف على صحيح الحديث فضلا عن فهمه لغة وفقهًا ، وقد رأى العلماء من هذا عجبًا وحكوا طرائف ، إن دلت فإنما تدل على مدى الجهل الذى وقع فيه بعض طلاب العلم ، فهم لا مذهبًا درسوا ، ولا دليلاً فهموا .

---

(١) راجع رسالة البيهقى فى مجموعة رسائل ضمن « الرسائل المنيرية » (٢ / ٢٨١) .

وأيضا لابد أن ننبه إلى أنه مما ساعد الإمام ابن القيم على الوقوف هذا الموقف من المقلدين والإصرار على فضحهم وبيان مدى محاربتهم للسنة ، ما اشتهر عن مذهب الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ من اتباع للأثر والدليل ، حتى تعجب لكتاب صغير كمنار السبيل يحوى أكثر من ثلاثة آلاف حديثًا (١) .

كما أشار لهذا العالم والمحدث الكبير محيى السنة سماحة الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ـ يقول الشيخ الألبانى فى بيان غايته من تخريج منار السبيل: « الثالث : أننى توخيت أن أكون عونًا لطلاب العلم والفقه عامة ، والحنابلة منهم خاصة ، والذين هم ـ فيما علمت ـ أقرب الناس إلى السنة على السلوك معنا فى طريق الاستقلال الفكرى الذى يعرف اليوم بـ (الفقه المقارن) هذا الفقه الذى لا يعطيه حقه اليوم أكثر الباحثين فيه . . . » .

ثم يسترسل مبينًا إلى أى مدى حشرت الأحاديث الضعيفة والموضوعة فى كتب الفقه حشرًا ، إلى أن قال منكرا: « ويكون عاقبة ذلك أن يتمكن من قلوبهم (٢) الخطأ الشائع : أن الحق يتعدد ، بل صرح بعضهم أخيرًا فقال: إن هذه الأقوال المتعارضة كلها شرع الله ، أو أن يزدادوا تمسكًا بالحديث الباطل: « اختلاف أمتى رحمة » (٣).

ثم أخذ يبين ـ رحمه الله تعالى ـ ضرر ذلك فى النشء وإهدار الجهد ، وتجميد العقل فى الحياد عن الصواب فى البحث العلمى الموجب لمعرفة الصحيح من الضعيف (٤) .

أقول: ولو أخذنا نعدد مفاسد التقليد،ومزايا الاتباع لطال الكلام ، ولكن قد نفصل ذلك تفصيلا ـ إن شاء الله تعالى ـ فى مقدمة « أصول الفقه » لابن القيم والتى فيها «القواعد » له مرتبة على المذهب ، وهى فى سبيلها إلى المطبعة ـ إن شاء الله تعالى ضمن موسوعة ابن القيم أيضا .

---

(١) اشتريت « منار السبيل » منذ أكثر من عشرين سنة تقريبًا فى بدء انشغالى بدراسة مذهب الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ بنصح الشيخ أحمد حسين ـ رحمه الله تعالى ـ من علماء مدينة بنى سويف وقيل: إنه من آخر تلاميذ الشيخ على محفوظ ـ رحمه الله تعالى ، وقد نفعنى الله تعالى بهذا الرجل الطيب كثيرًا ، توفى ـ رحمه الله تعالى ـ عام (١٩٨٢) تقريبًا، وكنت أذهب لمكتبة الشيخ حامد أنقل كلام العلامة الشيخ الألبانى ـ رحمه الله تعالى ، فكان تخريجه « إرواء الغليل » عزيزًا حينئذ .

(٢) يقصد: طلاب العلم بالجامعات .

(٣) انظر: حديث رقم (٥٢) من السلسلة الضعيفة .

(٤) راجع: مقدمة « إرواء الغليل » فهى من أنفس ما كتب الشيخ ـ رحمه الله تعالى فى ذلك .

(٧)

تبصرة

يقول الحافظ الكبير ـ خيرة شراح الحديث ـ الإمام ابن حجر ـ رحمه الله تعالى : «وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف ، وهو طويل النفس فيها ، يعانى الإيضاح جهده فيسهب جدًا ، ومعظمها من كلام شيخه بتصرف فى ذلك ، وله فى ذلك ملكة قوية ولا يزال يدندن حول مفرداته وينصرها ويحتج لها » (١).

ولنا هنا وقفتان:

الأولى:

شهادة الحافظ الحجة ابن حجر ـ وهو مَن هو ـ فى بيان ميزة كتبه وشيوعها بين الأمة ، وما شاعت إلا لحياده ونزاهته وصدقه مع الله تعالى فى بيان الحق لإظهار دين الله تعالى ، على الصورة التى كان عليها فى العهد الأول .

وإن شذ فى ذلك أقوام باتهام شيخ الإسلام ابن القيم بأوصاف لا تليق أن تخرج من فم مسلم لمقذوف فى حد ، فما بالك فيمن دافع ونافح عن دين الله تعالى مدة عمره لا يبتغى بذلك إلا وجه الله تعالى ، كما نقل ذلك الحفاظ: الذهبى وابن كثير وابن رجب ثم ابن حجر وغيرهم .

فمن هؤلاء :

١ـ الشيعى محسن بيدارفر ، فى تحقيقه منازل السائرين شرح كمال الدين القاسانى ؛ حيث اتهم ابن القيم بالجهل وعدم الفهم فى شرحه « مدارج السالكين » ، وأيضا بالتكلف والتناقض . انظر مقدمته ص (٣٢ ، ٣٣) طبع إيران ، وهذا سيغنى عن الرد عليه بالسكوت عنه .

ولكنى نبهت على ذلك لزيادة انتشار كتب الشيعة بين جمهور المثقفين خاصة فى المعارض الكبرى وبيعها بثمن بخس وإن كان هذا كثيرًا على ما فيها من تفاهات ، لكننا ننقم على المغالاة فى أثمان الكتب السُنية الشريفة ؛ ولهذا مقام آخر .

٢ـ الكوثرى ، فى كثير من كتبه ، وقد أغنانا الشيخ العلامة بكر أبو زيد برده عن ذكره

---

(١) انظر: الدرر الكامنة (٤ / ٢٢) .

هنا ، فليراجع كتابه « ابن القيم ـ حياته وآثاره » ففيه فوائد جمة ص (٣٠) وما بعدها و(١٣٩) .

٣ـ الأخوان عبد الله الصديق الغمارى وأبو الفيض أحمد أخوه ، ونقل الشيخ بكر أبو زيد عنهما ما يبين بعدهما عن العدل والإنصاف فى الأخذ والرد .

وإذا كان هذا حال هذين الشيخين الكبيرين عند كثير من الناس فما بالك بغيرهما ممن يتجرأ على العلماء وهو أقل قدرا ويظن أنه يبلغ عنان السماء [١].

وانظر ما ذكره الشيخ بكر فى كتابه ص (٣٢) وما بعدها .

الثانية:

مسألة اتهام ابن القيم أنه كظل ابن تيمية ، وهذه أيضًا لا نتعب القارئ فى الرد عليها فقد ذكرت بيانها فى مقدمة « بدائع التفسير » فانظرها .

وإذا كان ابن القيم ـ رحمه الله ـ يلام على اتباع ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وهما مَن هما ، فأنى لنا بمثليهما ونحن نتبعهما ونسير على هديهما ، إننا نرى كثيرًا من المشايخ يغلظ للشباب حتى يتخيل إليك أنك لا كرامة لك، وقد اشتكى كثير من الشباب من ذلك فكنت أنصحه بالصبر على الشيوخ حتى يتعلم ، ثم لعله يتقى الله ولا يصنع صنيعهم ، ومن صبر صَبَّره الله تعالى .

(١) وقد سمعت بنفسى الشيخ عبد الله الصديق الغمارى ـ رحمه الله تعالى ـ فى جلساته بمصر بأحد مساجد الدقى ـ حيث كان يشرح الموطأ وأبواب من اللمع فى عام (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) بمحضر من العلامة الشيخ الدكتور / على جمعة حفظه الله تعالى .

وكان الشيخ شديد التنكيل بابن القيم خاصة وابن تيمية عامة ، ويحذر من كثير من كتبهما ، ولى معه موقف طريف حين أنكرت عليه قوله فى مسألة الصفات (صفة اليد) ـ وكنا فى حداثة السن والطلب متحمسين فى هذه القضية ، وما زلنا والحمد لله ـ وأشهد الله تعالى أنه سكت ولم يُجب .

تاريخ الفقه بين القدماء والمتأخرين

(١)

جاء ذكر « الفقه » ومشتقاته فى القرآن الكريم عشرين مرة ، وكانت أول آية نزل فيها (١٧٩ / من سورة الأعراف) يقول تعالى: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ ، ثم فى سورة طه: ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾، ثم تتابع ذكر ذلك فى عدة سور مكية كالأنعام والإسراء وهود ، ثم تلتها سور مدنية كثيرة (١).

أما فى السنة المشرفة ففى أكثر من مائة وعشرة مواضع(٢) من أشهرها حديث النبى ﷺ: « اللهم فقهه فى الدين »(٣) فى دعائه لابن عباس رضي الله عنهما .

تعريف الفقه لغة:

قال صاحب اللسان (مادة فقه): « الفقه: العلم بالشىء والفهم له ، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلوم . . . » .

وقال ابن الأثير : « اشتقاقه من الشَّق والفتح ، يقال: فَقِه الرجل بالكسر يَفْقَه فقهًا إذا فهم وعلم ، وفقُه بالضم يَفْقُه : إذا صار فقيهًا عالمًا . وقد جعله العرف خاصًا بعلم الشريعة وتخصيصًا بعلم الفروع » ،وقال: « فقهت: يعنى فهمت وفطنت للحق . . . » (٤).

وإذًا بالنظر إلى اللغة نرى العرب قد فسرت الفقه بالعلم والفهم معًا . وإن كان لبعض الأصوليين رأى خلاف هذا (٥).

ولكن الصواب ـ والله أعلم ـ أنه لا فرق بينهما من حيث الدلالة القرآنية أو الحديث الشريف ، وراجع تفسير بعض ما ذكرنا من آيات تصل للمراد .

---

(١) راجع المعجم المفهرس لفؤاد عبد الباقى مادة (فقه) ، وانظر: الإتقان للسيوطى (١ / ٢٥) .

(٢) راجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ، المادة نفسها (٥ / ١٨٩) . وفيها دلالات أنه يقصد بها أحيانًا: العلم ، والفهم ، وإن جاء فرق بينهما كما جاء فى بعض الآثار ، وراجع مدلولات هذه المادة فيما كتبه العلامة / عمر سليمان الأشقر فى تاريخ تطور الفقه (١٠، ١١) وما بعدها .

(٣) البخارى (١٤٣) فى الوضوء ، باب: وضع الماء عند الخلاء ، ومسلم (٢٤٧٧) فى فضائل الصحابة ، باب: فضائل عبد الله بن عباس ، وأحمد (١ / ٢٦٦) .

(٤) النهاية (٣ / ٤٦٥) ، مادة « فقه » .

(٥) مثل الآمدى (١ / ١٥) فى تعريفه للفقه فى مقدمة كتابه العظيم « إحكام الأحكام » .
وقد ذكر ابن منظور فى اللسان معانى كثيرة لمادة الكلمة فيها فوائد ، فانظرها.

ويجب أن ننبه إلى تفرقة هامة بين بدء الفقه وتدوين الفقه ، فالفقه قد بدأ منذ أول آية نزلت على سيدنا رسول الله ﷺ فى سورة « اقرأ » على الصحيح ، ولا يعتد بخلاف ذلك. وهذا بحث نفيس وقفت ـ لابن القيم وغيره من أهل العلم ـ على كلام دقيق يبين ذلك ، وهو مستشف مما سبق بيانه من تعريف الفقه عند سلفنا الصالح فى العهد الأول ، والله أعلم .

(٢)

نفهم مما سبق أن معنى الفقه فى الصدر الأول ـ عصر النبوة ـ كان مداره على الفهم لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، وهذا هو الدائر على ألسنة كبار الصحابة رضي الله عنهم ، يعنون بذلك صاحب الفطنة والبصيرة فى دينه .

وبهذا فسر ابن عباس قوله تعالى: ﴿ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّين ﴾ [آل عمران: ٧٩]: فقهاء معلمين، وحلماء علماء حكماء (١).

وعلى هذا مدار تفسير السلف لها .

وكان يدور على ألسنة كثير من التابعين كالحسن البصرى وسعيد بن جبير ـ رحمهما الله تعالى ـ هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ﴾ [فاطر: ٢٨] .

نقل السيوطى فى الدر: أخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال : الخشية والإيمان والطاعة . . .

ونقل عن ابن عباس: العلماء بالله الذين يخافونه .

وعنه: الذين يعلمون أن الله على كل شىء قدير .

وعن ابن مسعود : ليس العلم من كثرة الحديث ، ولكن العلم من الخشية (٢).

وهذا قول الحسن البصرى أيضًا ـ رحمه الله تعالى: « إنما الفقيه المعرض عن الدنيا ، الراغب فى الآخرة ، البصير بدينه ، المداوم على عبادة ربه ، الورع ، الكافّ عن أعراض المسلمين ، العفيف عن أموالهم ، الناصح لجماعتهم »(٣) .

(١) انظر: الدر المنثور (٢ / ٢٥٠ ، ٢٥١) .

(٢) انظر: المصدر السابق (٧ / ١٩ ـ ٢٢) .

(٣) انظر: التوضيح على التنقيح ، وحاشية ابن عابدين (١ / ٢٦ ، ٣٣) .

(٣)

الفقه فى الاصطلاح:

أما الفقه فى اصطلاح المتأخرين ، فيقول ابن خلدون ـ رحمه الله تعالى ـ فى تعريفه: « الفقه معرفة أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة ، وهى متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة ، فإذا استخرجت هذه الأحكام من تلك الأدلة قيل لها: فقه . . . »(١) .

يقول الدكتور / عمر سليمان الأشقر معلقًا:

« والفقه فى اصطلاح المتأخرين معناه: علم القانون الإسلامى ، فقد خصه المتأخرون بعد الصدر الأول بالعلم بالأحكام الشرعية العملية » .

ثم يقول بعد ذكره تعريفهم:

« وتعريفهم للفقه فى غاية الدقة ؛ إذ يظهر وجهة نظر علماء المسلمين الخاصة لعلم الحقوق » (٢) .

وقبل الحديث عن الفقه عند ابن القيم يجب أن ننبه إلى أنه منذ آخر القرن الثانى تقريبًا وبعد انتشار شتى أصحاب المذاهب من حنفية ومالكية وشافعية وتدوين الحديث وتناقل العلماء له ، أخذت كتب الفقه المقارن فى الظهور ، فنجد كل متبع لمذهب ينظر فى دليل المخالف ويأخذ به دون حرج . فهذه الدراسة ـ لما سبقهم من علم ـ صهرت الفقه المتعدد المشارب فى بوتقة واحدة قد نسميه ـ إن جاز: الفقه الإسلامى العام (٣).

---

(١) المقدمة لابن خلدون (٢٨٣) . وقد آثرت ذكر تعريف ابن خلدون ؛ لأنه مفصل وفيه أيضا منافع جيدة انظرها، ولا يخلو كتاب أصول إلا وفيه تعريف للفقه . . . مما يصعب حصر ذلك . وقد اعترض عليه الدكتور الأشقر فى بعض المسائل فى « تاريخ تطور الفقه » فانظرها .

(٢) تاريخ تطور الفقه (١٥ ، ١٦) . وقد استفاض فى شرح التعريف بإجادة تامة .

(٣) وللشيخ محمد أبى زهرة بحث جيد فى هذا فى كتابه « ابن حنبل » . ص (١٤ ـ ١٦) . ويقول فى مقدمته : « ثم بينت الأصول الفقهية التى بُنِى عليها ـ يعنى المذهب الحنبلى ـ والأدوار التى مر بها ذلك المذهب الجليل ، وطرائق نموه ، وأساليب التخريج فيه ، وضبط قواعده ، وجمع فروعه حتى صار مذهبًا ناميًا حيًا متسعًا مرنًا ، فيه صلاح ، وفيه إصلاح ». المقدمة (٤) .

ولكن الشيخ أبا زهرة لم ينصف أبدًا ، ولم يوفق حين ذهب بجرأة ينصر مذهب المعتزلة فى ترجيح قولهم فى خلق القرآن ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ـ حيث قاس خلق القرآن على خلق العالم ، وأن هذا لا ينافى قدم صفة الكلام لله تعالى ، وأن قدم الخلق بقدرته ، وقدرته قديمة ، وكونه خلق الخلق بهذه القدرة لم يستدع=

وهذا باب هام لمعرفة حصاد التاريخ الفقهى الذى قطف ثماره الإمام ابن القيم فكانت مباحثه فى غالبها ـ إن لم نقل كلها ـ على الحياد التام كما سنرى ، والله أعلى وأعلم .

= قدم الخلق ؛ فلذلك كون القرآن تكلم الله به ، وخاطب نبيه ﷺ ، وأنزله عليه بقدرته ، وبصفة الكلام التى وصف نفسه بها ، لا يستدعى أن يكون القرآن قديمًا » .

وهذا قياس فاسد لا يخفى مثله على الشيخ ، وأيضا لا يخفى عليه الفرق بين صفات الذات (صفات المعانى) وأثر الصفات وهى الأفعال كالخلق . والكلام صفة لله ـ تعالى ـ والأدلة عليها قطعية ، والقول بخلق الصفة يؤدى إلى خلق صاحبها ونعوذ بالله من الضلال . فالخلق كالأنهار والبحار وما فى الأرض والسموات من آثار صفة القدرة وصفة « الخلق » ، فالله تعالى خالق كل شىء ، وكل شىء مخلوق بقدرته ، فهناك فرق كبير بين صفاته سبحانه وأثر الصفات ، فآثار الصفات مخلوقة .والقرآن ليس كذلك لأنه من كلام الله ـ تعالى ـ وهو صفته وليس أثرًا للصفة وليس بمخلوق ، وإحياء مذهب المعتزلة أخذ ينمو فى الخمسين سنة الأخيرة ، واشتد منذ سنوات على أيدى من يريد إظهار عقلانية الإسلام حتى يزينوه فى ظنهم للغرب ؛ لئلا يتهمنا بالجمود ، وهذه مسألة أخرى تناقش فى مظانها ، والله أعلم .وقد أشبع وأمتع إمامنا ابن القيم الرد على هؤلاء وأيضا شيخ الإسلام من قبله وسائر علماء الأمة الكبار نصروا مذهب السلف الصالح وهو الإيمان بالصفات وإثباتها دون تعطيل أو تحريف أو تأويل ،فإن الله ـ تعالى ـ لا يصف نفسه إلا بالكمال والجلال ـ سبحانه وتعالى.

ولكن الشيخ مع هذا أنصف الإمام فى جل ما كتبه حتى يقول: « ولم يخصوا ـ المعتزلة أعوان الحكام ـ بامتحانهم أهل التهمة بل عمموا ، حتى نزلت بأكبر أهل الفضل ، فهل كان مثل أحمد متهما فى دينه ، فإنه إذا كان مثل أحمد من أهل التهمة فلا دين ولا تدين وعلى الدنيا العفاء » . المصدر السابق (٦٦) .

الفقه عند ابن القيم

(١)

لا يتحير الباحث أمام الشهادة لابن القيم أنه يذهب فى الفقه مذهب الأوائل ، تعريفًا وتصنيفًا ، حتى أننى مع بذل قصارى جهدى فى تتبع لفظة « الفقه » فى كتبه لم أقف على نقله لتعريف الفقه عند المتأخرين ولو مرة واحدة فى كتبه .

بل هو يذهب فى الفقه ما ذكرناه عنه من مذهبه[١] فى التفسير ، أنه يصلح الدنيا بكتاب الله تعالى . لا يعيش كما عاش كثيرون يكتبون لأنفسهم ، ويحققون لخيالهم ، فى عزلة عن واقع الأمة ، يفرحون لاجتماع عشرات حولهم ، يتفقون فى الصورة والله أعلم بالسرائر .

لم يكن ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ قلمًا لا يعرف ما يكتب مداده ، بصفحات تُسَوَّد بما لا يفيد فى الدين ولا الدنيا ، وإنما كان يقظ الإحساس ، صادق المشاعر بأمراض الأمة ، وافر التمكن من الدواء [٢]،تفيض كتبه بالحياة ويتدفق دم قلبه بنبض يدق أجراس الخطر : تارة محذرًا من الابتداع ، وأخرى من الإفراط أو التفريط ، وثالثة فى الرد على منكرى السنة والموسوسين . . .إلى آخر هذه العلل التى ندر أن تمر بك صفحة من كتاب له إلا وترى الداء والدواء .

تراه معلمًا للموقعين عن رب العالمين بهدى خير العباد ، طارقًا باب الجنة بالنداء على الأرواح بترك الدنيا واتباع طريق الهجرتين ، والأخذ بيد اللهفان وبيان كيف ينجو من مصايد الشيطان .

فلا غرو أن ترى المحدث والفقيه والأصولى واللغوى والمتخصص والعامى ينهلون من كتبه معترفين بفضله ، وصدق الله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ** ﴾ [الرعد: ١٧] .

---

(١)راجع: مقدمة البدائع (١ / ٢٢) .

(٢) وأرى ـ والله أعلم ـ أن هذه الصفة من أعظم ما استفاده الشيخ من شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ فهو فوق هذه الحالة وزيادة .

(٢)

الفقه الحى

يرى ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ الفقه من منظور الواقع ، وهو الذى درج كثيرٌ من الباحثين بتسميته « فقه الواقع » أو « فقه النوازل » .

لكن شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ يسميه « الفقه الحى » ، فهو يقول فى مسألة اعتبار النيات فى الألفاظ :« هو قول أئمة الفتوى . . . » إلى أن قال:

« وفى مصنف وكيع أن عمر بن الخطاب قضى فى امرأة قالت لزوجها: سمنى ، فسماها: الطيبة ، فقالت: لا ، فقال لها: ما تريدين أن أسميك ؟ قالت: سمنى خليَّة طالق،فقال لها ذلك .

فأتت عمرَ بن الخطاب ، فقالت: إن زوجى طلقنى ، فجاء زوجها ، فقصَّ عليه القصة ، فأوجع عمرُ رأسها ، وقال لزوجها: خذ بيدها وأوجع رأسها ، وهذا هو (الفقه الحى) الذى يدخل على القلوب بغير استئذان وإن تلفظ بصريح الطلاق » . ا . هـ (١) .

فانظر إلى مطابقة الاسم المسمى ، فإن عمر رضي الله عنه اعتبر النية هنا ، ولم يبادر إلى التطليق ، وهذا هو عين فقه الحياة .

ويقول أيضًا شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ فى حديث عائشة رضي الله عنها : « اختصم سعد بن أبى وقاص وعبدُ بن زمعة إلى رسول الله ﷺ فى ابن أمة زمعة . . . » إلخ الحديث (٢). وفيه: « الولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، واحتجبى منه يا سودة » : يقول:

« وأما أمره سودة ، وهى أخته (٣)، بالاحتجاب منه فهذا يدل على أصل وهو: تبعيض أحكام النسب ، فيكون أخاها فى التحريم ، والميراث وغيره ، ولا يكون أخاها فى المحرمية والخلوة والنظر إليها ، لمعارضة الشبه للفراش » .

إلى أن قال:

« وهذا باب من دقيق العلم ، وسره لا يلحظه إلا الأئمة المطلعون على أغواره ، المعنيون بالنظر فى مأخذ الشرع وأسراره . . . » . ا . هـ (٤).

---

(١) إعلام الموقعين (٣ / ٨٥) .

(٢) انظره: مفصلا فى تهذيب السنن (٣ / ١٧٩ ـ ١٨١) . وهو يخرج قريبًا بتحقيقنا ـ إن شاء الله تعالى .

(٣) يقصد: أخو عبدُ بن زمعة .

(٤) تهذيب السنن (٣ / ١٨١) .

وفى بيان أهم ما يميز الفقيه المتفيهق دون المتفيحق[١] :

« وإنما خاصية الفقيه ، إذا حدثت به حادثة: أن يتفطن لاندراجها تحت الحكم العام الذى يعلمه هو وغيره »[٢] .

ويقول تحت قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) ﴾ [البقرة] وبعد ذكره حيلة اليهود:

« قال بعض الأئمة: ففى هذا زجر عظيم لمن يتعاطى الحيل على المناهى الشرعية . ممن يتلبس بعلم الفقه وهو غير فقيه ؛ إذ الفقيه من يخشى الله ـ تعالى ـ بحفظ حدوده ، وتعظيم حرماته ، والوقوف عندها . . . » [٣].

وفى بيان حقيقة الفقه يقول:

« فى الأسباب الجالبة للتأويل: أربعةٌ: اثنان من المتكلم ، واثنان من السامع ، فالذى من المتكلم : إما نقصان بيانه وإما سوء قصده .

واللذان من السامع: إما سوء فهمه ، وإما سوء قصده » .

إلى أن قال:

« ولما كان المقصود من التخاطب التقاء قصد المتكلم وفهم المخاطب على محز واحد ـ على معنى واحد ـ كان أصح الأفهام وأسعد الناس بالخطاب . . . وهذا هو حقيقة الفقه الذى أثنى الله ورسوله به على أهله وذم من فقده » [٤].

ولو وقفت على إعلام الموقعين لرأيت أقواله فى صفة الفقيه والفقه لا تخرج عن هذه المعانى السابقة ، فمن أمثلة ذلك: الفهم عن الله (١/٢٦٨) ، معرفة أسرار الشريعة (٢ / ٦٣، ٨٠) ، الذوق السليم والطبع السليم (٢ / ٦٦) ، فقه السنة (٢ / ٩١) .

ولما كان العقل أهم ما ميز اللهُ به الإنسانَ ، تراه يلح على هذا الأمر ، وأن مدار الفهم لصاحب العقل السليم المستنير بالشرع الحنيف ،يقول:

« العقول الصحيحة (٢ / ٨٦ ـ ٨٨) ، العقول الضعيفة (٩٦) ،العقول الفاسدة (٩٩) ، استحسان العقول (٩٧ ، ١٠٥) ، أليق بالعقل (١٠٠ ، ١٠١) ، العقول السليمة

---

(١) تقول: تفيحق الرجل : ادعى أكثر مما له ، كتاب: الجيم للشيبانى (٣ / ٤٥) .

(٢) إغاثة اللهفان (٢ / ١٢٠) . (٣) السابق (١ / ٣٤٣) .

(٤) الصواعق المرسلة (٢ / ٥٠٠ ، ٥٠١) .

(٢ / ١٦١) » [١].

إذًا الفقه عند ابن القيم ـ كما ذكرنا ـ « فقه حى لقلب حى » ، ولو تدبر العقلاء ذلك لعلموا شمول وصلاح هذا الدين لكل زمان ومكان ، ولتفطنوا أن الجهل بالدين هو الداء الذى غرقت فيه العقول ، وتحيرت فيه القلوب .

ومن هنا كان التعمد لتحريف الكتب الدينية المُدَرَّسَة فى غالب الأقطار خاصة التى لا تُحَكِّم شرع الله ـ تعالى ـ حتى لا يشب أحد من أبناء الأمة إلا على ما يُراد له وبه ، من أن الدين سلم وسلام ، ولو كان استسلاما ، وأن الفقه لا يعدو دورة المياه ، وأن السنة لا تزيد عن اللحية [٢]، وأن الاعتقاد لا يعدو تعظيم المشايخ والقبور وإطلاق البخور !! .

أما الخير ـ عند هؤلاء ـ كل الخير ، فهو مما ورد من أوربا وأمريكا ، لا ما ورثناه من خير أمة عاشت مع نبيها ﷺ بمكة والمدينة ، ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف] .

---

(١) ولو نُقلت أقواله فى العقل لأفردت فى كتيب متوسط الحجم ، وسيخرج ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ فى كتابنا له: « أصول الفقه » ضمن الموسوعة.

وكذا مباحثه عن الروح والنفس والقلب .

(٢) من المبكيات أن بلادًا كثيرة ـ خاصة مصر ـ تسمى مساجد الملتزمين بهذه السنة الكريمة مساجد السنيين . . . تأمل !

جامع الفقه

(١)

من أجل كل ما سبق من عطايا الله ـ تعالى ـ لهذا الإمام أحبينا ـ بعون الله تعالى ـ أن نخرج « جامع الفقه » كما أخرجنا « بدائع التفسير » ليقرب على المسلم الباحث المتخصص والقارئ معرفة أقوال هذا الإمام الكبير فى مسائل الفقه مرتبة وفق مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه .

ولما كانت الفهرسة القديمة التى صنعتها لكتب الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ قد يسرت علىَّ إخراج التفسير ، فهاهى بعون الله تساعد فى إخراج الفقه .

(٢)

سبق وأشرت فى مقدمة « بدائع التفسير » (١ / ٥٢) إلى مؤلفاته مرتبة (ألفبائيا) والتعليق عليها ، فلا حاجة لتكرار ذلك ، فهى نفس الطبعات التى اعتمدت عليها هنا خلا بعض الكتب التى وقفت على طبعة ثانية أو ثالثة لها .

مثال: « زاد المعاد » فى طبعته القديمة عند وجود بعض الشك فى سياق عبارة ما ، و«إعلام الموقعين » بتحقيق الشيخ محيى الدين عبد الحميد للغرض نفسه .

ولا أنسى هنا التذكير بما أصاب كتبه من تصحيف بيِّن ، وهذا مما شجع على القيام بتحقيق كثير منها الآن والحمد لله .

(٣)

كيف تمت صناعة الكتاب

١ـ بعد أن وفق الله تعالى إلى جمع الفقه من جميع كتبه التى بين أيدينا ، فى «كروت» كما بينا من قبل ، قمنا بما يلى:

٢ ـ تم ترتيب ما جمع بعد تصويره أو كتابته إلى الورق .

٣ ـ ثم ترتيب كل كتاب على حدة .

٤ ـ ثم ترتيب الكتاب هكذا: (الطهارة ، الصلاة ، إلخ) ترتيبًا داخليًا حسب « كتاب المغنى » و « زاد المستقنع » . مع الاستعانة بكثير من كتب الحنابلة فى بعض المسائل .

٥ ـ رأيت تصدير كتابنا هذا « جامع الفقه » « بكتاب النية » وهو جامع لأهم ما كتبه ابن القيم فى ذلك .

وهذا التصدير بكتاب النية اقتداء بصنيع الإمام البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ لجامعه العظيم ، وحتى يتبين المسلم هذا الباب من أبواب العلم الذى هو أخطرها وأعلاها منزلة ، فالثواب معلق بها ، وكذا الصحة والفساد وكما يبين ذلك العلامة ابن قدامة فى « المغنى» فيما يقرب من مائة موضع فمثاله:

ـ النية للطهارة فرض (١ / ١٥٦) .

ـ صفة النية فى الطهارة (١ / ١٥٧) .

ـ النية محلها القلب (١ / ٥٧).

ـ وجوب تقديم النية (١ / ١٥٩) .

ـ إن أخر الصلاة عن أول وقتها بنية فعلها فمات . . .(٢ / ٤٥) .

ـ الاعتبار بالنية فى القصد لا بالفعل (٣ / ١١٠) .

ـ لا يجزئ إخراج الزكاة إلا بنية (٤ / ٨٨ ، ٩٠) .

ـ يجب تعيين النية فى كل صوم واجب (٤ / ٣٣٨) .

ـ لفظ: أنت حرة كناية فى الطلاق ، إذا نواه به وقع (١٠ / ٣٥٩) . . .وهكذا سائر الأبواب .

وستجد لمحات لابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ فى ثنايا الكلام ، متعلقة بالنية ، والله أعلم .

٦ ـ وقد سلكت فى الجمع الداخلى أن أبدأ ببيان حكمة الحكم الشرعى من تحليل أو تحريم . . . كمقدمة ، وذلك فى حالة ما إذا تعرض ابن القيم لبيان ذلك .

٧ ـ ثم بيان مسائل الكتاب تحت عناوين : كالباب أو الفصل أو المسألة أو الفائدة .ولا أنكر مقدار ما عانيته أثناء ذلك ، لإخراج الكتاب بقدر المستطاع على الوجه الأتم إن لم نستطع الأكمل .

٨ ـ قد ترى بين ثنايا المسائل استطراداً إلى بعض الفوائد المتعلقة بالسلوك والقلوب والرقائق ، وهذا إن دل فإنما يدل على صحة ما ذهبت إليه وكثير من الباحثين إلى تميز فقه ابن القيم بالحياة والحركة ، وإن شئت قلت: « الفقه الحى » كما سماه هو .

٩ ـ ذكرنا بعض التعليقات للحافظ المنذرى فيما نقلناه من « تهذيب السنن » وذلك لما تضيفه من فائدة ، وحصرناها بـ (أ ـ أ) .

١٠ ـ تم صناعة فهرست لكل جزء ،اشتمل على: أهم الأبحاث الواردة فى كل كتاب، مع ذكر ما تحتها من مسائل .

١١ ـ وهذا بخلاف الفهرسة الجامعة فى آخر جزء من الكتاب وهى تحوى فهارس:

أ ـ الآيات . ب ـ الأحاديث .

جـ ـ المسائل الفقهية . د ـ مصادر ومراجع التحقيق .

١٢ ـ أغفلنا ذكر الأعلام وكذا مصادر ابن القيم فى كتبه ؛ لأن الكتاب فى الفقه ولا حاجة ـ على ما أرى ـ فى ذكر الأعلام .

وأما إغفال ذكر المصادر فلأننا قمنا ـ والحمد لله ـ بتخريج أحاديث وآثار الكتاب وعزو مسائله إلى أصحابه وفى غالب الأحيان توفرت تلك المصادر ، والحمد لله .

١٣ ـ سلكت فى تحقيق الكتاب نفس المنهج السابق ذكره فى« بدائع التفسير » (المقدمة ١٢ ـ ٢٤) ، حيث اعتمدت فى التصحيح والتضعيف على كلام أئمة هذا الشأن ـ وما تركته من السنن الأربعة بلا تعليق فهو من الصحيح أو الحسن ـ مع ترك الاستطالة والتمادى فى التخريج الذى لا حاجة فيه للقارئ ، فالباحث فى الفقه يريد الوقوف على مسائل ابن القيم وآرائه الفقهية ، وإن كانت ثمة أحاديث يريد معرفة تخريجها وحكمها ،والمتخصص يفعل نفس الأمر مع إمكانه الاستزادة ـ إن شاء ـ من مصادر أخرى .

أما وأن نخرج حديث: « إن الأعمال بالنيات » فى مائة صفحة فالأولى جعلها فى شرحه ومعناه ، خاصة فى هذه الأزمنة التى نرى فى أهلها عجبًا ، من الاهتمام بكل شىء إلا التحرى ومعرفة الصواب للحق ، فكان لزامًا على أهل العلم تيسير هذا لهم .

وكما ذكرت ـ فى مقدمة بدائع التفسير ـ إلى ضرورة اليسر فى التأليف والتحقيق ، حتى يقبل الناس على دين الله فى يسر ومحبة ، وهذه صفات كتابه العزيز ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر] فما بالك بما دونه .

ونكرر أن منهج التيسير هذا ، والذى أعلى رايته المحدث العلامة الألبانى ـ رحمه الله تعالى ـ لا يقصد به التفريط حيث نرى رسائل جامعية فى تحقيق كثير من المخطوطات ، لا يستطيع صاحبها تخريج الحديث فضلا عن بيان درجته من الصحة وغيرها .

فترى النحوى قد يخرج المسألة من ثلاثين مصدرًا ، فإذا جاء إلى الحديث خلط ، وكذا المفسر والفقيه ، والعذر الذى هو أقبح من الذنب: دعوى عدم التخصص !! أرأيت !!

وأشهد الله ـ تعالى ـ أننى رأيت من هذا عجبًا . . . فمنهم من يدعى أن الأمر ليس بهذه الخطورة ! فإذا كان عدم التثبت فى نسبة قول إلى الأصمعى فى غاية الخطورة ، فما بالك بأقوال صاحب الشريعة ﷺ !

وإن كنتُ لست مع مدرسة الاختصار المؤدى إلى ضياع العلم ومعرفته الصحيحة كما قال ابن خلدون وغيره ، ولكن هذا باب ، وما نريده باب آخر .

ولو رجعت إلى ما اختصره الإمام الذهبى من مصنفات لرأيت عجبًا ، حتى قال الحافظ فى الفتح: إنه لم يذكر الحديث فى شرحه للصحيح تيسيرًا على القارئ ، وإنما طبعت الأحاديث مع الشرح مؤخرًا لتمام الفائدة .

أما أن ينكب الناس كلهم على تصحيح الصحيح ، فهذا من أعجب العجب ، ويا ليت الهمم تنصرف ـ عند هؤلاء ـ إلى تصحيح وتحقيق المسند على طريق الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله تعالى ـ أو « المستدرك للحاكم » أو « سنن البيهقى » وغيرها من كتب العلم الكبار .

وكنت أثناء قراءتى للتمهيد لابن عبد البر[1] أتعجب من تحقيق اللجنة القائمة عليه حتى فى الفهرسة ؛ إذ فرطوا فى أشياء ما ينبغى تركها ، أقول: لو انصرفت الهمم أيضًا لكتاب مثل هذا لكانت جهودًا تامة ، والفائدة عامة .

والحمد لله ، فقد فطن لهذا كثير من طلاب العلم خاصة المشتغلين بالحديث ، وما كان اهتمامهم بالاختصار فى التحقيق والتخريج إلا لفائدة . وهذا ما قصده العلامة الإمام الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ـ رحمه الله تعالى ـ فى كل كتبه حتى الموسع منها كالإرواء والسلاسل .

---

(١) وقمتُ والحمد لله بترتيبه ترتيبًا جديدًا وفق الموطأ حتى يسهل الوصول إلى معرفة ما فيه من كنوز علمية مخبأة بين خبايا السطور ، حتى فهرسته على العدة فى المذهب الحنبلى من شدة تعلقى بهذا الكتاب ، وحذفت كثيرًا من الأسانيد مع تخريج معظم ما اعتمد عليه من أحاديث ، وهذا العمل لأنتفع به لنفسى ، والحمد لله رب العالمين .

ولكن بعضهم لم يفطن إلى هذا وحسب أن الإطالة فى التحقيق والتخريج غاية لا وسيلة .

وأبلغ رد أيضًا ما قام به ـ رحمه الله تعالى ـ فى بيان صحيح السنن من ضعيفها .

وأرى ـ والله أعلم ـ أن لهذا العالم ـ رحمه الله تعالى ـ أيادى بيضاء على العلم عمومًا والحديث خصوصًا إلى يوم الدين ، بل لا أبالغ إن قلت : إن العلماء والباحثين انتفعوا به كانتفاع السابقين بكثير من الأئمة فى زمنهم .

obeikandl.com

الخاتمة

نحمدُ اللهَ ـ تعالى ـ ثم نصلى على نبيه المعظم محمد ﷺ .

وبعد:

فهذا يا أخى المسلم ، جهد أخ لك ، أراد تقريب بابٍ من أبواب الدين ـ وهو الفقه ـ لعالم من علماء المسلمين هو ابن القيم ، حتى نقف على جهود هذه المدرسة السلفية العظيمة ، السلفية بحق فى الاعتقاد والعمل بالدليل والقيام بأمر رب العالمين ، أصحاب القلوب المخلصة ، الصادقة ، لا مجرد الادعاء والاتكاء على قضايا فارغة ماتت منذ سنين ، ولعن اللهُ من أحيا الفتنة .

سترى أن الإمام ابن القيم من أحرص الناس على تجميع كلمة المسلمين ولم شملهم على الكتاب والسنة ، والابتعاد بهم عن الجهل والبدعة ، مع الأدب الجم والقلم العف فى وصف المخالف . وهذا هو المذهب الحق فى التصنيف «الصدق والأدب » .

فاللهم لك الحمد والشكر عدد خلقك ، ورضا نفسك ، وَزِنَة عرشك ، ومِدَاد كلماتك .

ثم أشكر كل من وقف بجوارى موقف الرجال لا كظل الخيال ؛ الإخوة الكرام بدار الوفاء وأخص أخى الكريم المهندس « عاصم شلبى » المؤدب المهذب الذى يأسرك بخلقه وعفة لسانه ، فجزاه الله كل خير .

ثم أخى الفاضل والمدقق البارع الأستاذ « أنور الباز » الذى قام بكل جهد وسهر لإخراج هذا العمل فى طبعته الأولى فى ظل ظروف مررتُ بها ، فكان نعم الأخ المعين والصديق الوفى .

وكذلك جميع إخوانى الشباب الطيبين المتواضعين فى فريق العمل مع الأستاذ « أنور»، حيث ساعدوا فى تخريج أكثر العمل وفهرسته ؛ نظرا للظروف التى أبعدتنى كثيرًا عن العمل .

ثم أحمد الله ـ تعالى ـ وأسأله قبول عملى خالصًا لوجهه الكريم ، متوسلا إليه بكتابه الكريم وبالصلاة على خاتم النبيين ﷺ ، ثم بدعاء والدىَّ لى اللذين هما قرة عينى وبرضاهما أوفق ـ بعد عون الله تعالى ـ وما رضاهما إلا من توفيقه ـ سبحانه .

فجزى الله أبى وأمى عنى خير الجزاء .

وكذلك أهل بيتى الصابرين على قضاء كل نهارى وأكثر ليلى بين كتبى بعيداً عن بيتى ، سائلا المولى أن يتم عليها الشفاء ، ويطيب لها الدواء .

أما ابنتىّ « فاطمة ومريم » فلهما كل الحب والدعاء لهما بالتوفيق والحفظ بالليل والنهار، فهما من أكثر من تحملتا عناءَ بعدى عنهما .

وأنت أخى المسلم ، فلك كل الشكر على القراءة ، مع الرجاء بالدعاء لأخ لك لا غنى له عن رحمة ربه طرفة عين ، فلا تنسنا فى الدعاء بالعفو والعافية وحسن الخاتمة .

وكتبه

المعترف بالذنب السائل ربه التوبة

يسرى السيد محمد أحمد على

الهرم : غرة رمضان ١٤٢٠ هـ

٧ / ١٢ / ١٩٩٩ م

obeikandi.com